بسم الله الرحمن الرحيم

ارتبط شهر ربيع الأول ارتباطًا كبيرًا برسولنا صلى الله عليه وسلم، ففيه ولد، وفيه هاجر، وفيه توفي، ويكفي لهذه الأحداث العظام أن تربطنا حين يدخل ربيع الأول بالمصطفى صلى الله عليه وسلم، فهي محطات وأحداث عظيمة في تاريخ المسلمين والبشرية...

أما مولده: فقد ولد يوم الاثنين من ربيع الأول عام الفيل، وهذا بإجماع أهل العلم، ولكن اختلفوا في تحديد يوم مولده؛ فمنهم من قال أنه ولد يوم الثاني عشر من ربيع الأول وهو قول الأكثرية، قال ابن كثير رحمه الله: عليه جماهير أهل العلم.

وقال البعض أنه ولد في اليوم الثاني، ومنهم من قال في يوم الثامن، ومنهم في يوم التاسع. *كانت البشرية تعيش في ظلام دامس وجاهلية جهلاء يصورها لنا رسول الله في الحديث الذي رواه مسلم: ((إنَّ الله نظر إلى أهلِ الأرضِ، فمَقَتهم عربهم وعَجَمهم، إلَّا بقايا من أهل الكتاب))، فكان مولده صلى الله عليه وسلم نورا وضياء وهديَّة عظيمة للعالمين من ربهم...

قالت أمه: (لما ولدتُه خرج مني نور أضاءت له قصور الشام)، ولما ولدته أمه أرسلت إلى جده عبد المطلب تبشره بحفيده، فجاء مستبشرًا ودخل به الكعبة، ودعا الله وشكره، واختار له اسم محمد صلى الله عليه وسلم...

وكان صلى الله عليه وسلم يحب يوم مولده ويحتفي به، فعن أبي قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئل عن صوم يوم الاثنين؟ فقال: ((ذاك يوم ولدت فيه، وأُنزل عليَّ فيه)) كان يصومه؛ لكنه لم يحتفل بتاريخ مولده ولا أمر بذلك ولاسنه للناس...

*فولادته صلى الله عليه وسلم لم تكن ولادة عاديةً، بل حدَثاً عظيم، وإيذانًا بنزول وحي الله ليُصلح البشرية ويخرجَها من الظلمات إلى النور، وإفراد الله وحده بالعبادة، وترك الشرك.

بعثه الله في قومٍ لم يسبق لهم عهد برسالة، في قومٍ ورثوا بعض ما كان عليه خليل الله إبراهيم من تعظيم البيت الحرام، وإجلال هذه البقعة، وليس عندهم من معرفة الله تعالى وعبادته شيء يُذكَر، دعا قومه إلى أكمل دعوة، وإلى أتم كلمة إلى [لا إله إلا الله] دعاهم إلى أن يعبدوا الله وحده لا شريك له، لم يكثر عليهم

طلبًا ولم يكثر عليهم فروضًا، بل دعاهم إلى عبادة الله وحده، فعظُم ذلك على كثير منهم فقالوا: {أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ}[ص:٥]

فكذبوه صلى الله عليه وسلم وعاندوه وضيَّقوا عليه ورموه بالكذب والجنون والسحر، كان حميد السيرة فيهم لا يعرفون عنه إلا الحق والهدى والخير والبر، فسيرته كانت أعظم شاهد على صدق ما جاء به.

فضاق عليه صلى الله عليه وسلم الأمر في مكة، فطلب مكانًا يبلِّغ فيه دين ربه، ويدعو الناس إلى هداية الله تعالى ليخرجهم من الظلمات إلى النور، فكانت الهجرة النبوية...

وفي ربيع الأول وصل صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجراً من بلده مكة المكرمة، التي ولد فيها ونشأ وقضى فيها أكثر سني عمره، بعد أن اشتد أذى قومه له وحاولوا قتله، فهاجر إلى طيبةَ الطيبة مدينته التي آوته وأحبته وأحبه أهلها وآووه ونصروه وأحبهم، واستقبله أهلها في يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول، فبنى فيها مسجده وأسس فيها دولته وآخى فيها بين صحابته وتغير بالهجرة مجرى التاريخ...

وفي الثاني عشر من ربيع الأول توفي صلى الله عليه وسلم، فكانت وفاته أعظم فاجعة مرت على المسلمين، وستبقى أعظم مصيبة على كل مسلم إلى يوم الدين، قال صلى الله عليه وسلم: ((إذا أصابَ أحدُكم مصيبة فليذكر مصابَه بي؛ فإنَّها أعظمُ المصائبِ)).

يقول ابن رجب رحمه الله: لما توفي صلى الله عليه وسلم اضطرب المسلمون، فمنهم من دهش فخولط، ومنهم من أُقْعد فلم يطق القيام، ومنهم من اعتقل لسانه فلم يطق الكلام، ومنهم من أنكر موته بالكلية)، وبموته صلى الله عليه وسلم انقطع الوحي، **وكان أول ظهور الشر** بارتداد بعض العرب وغير ذلك.

*لقد كان موته صلى الله عليه وسلم أعظم مصيبة ابتليت بها الأمة مطلقًا، وكان له أثر عظيم على نفوس الصحابة وحالهم؛ حتى صدق فيهم وصف عائشة رضي الله عنها: ((وَلَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَظُمَتْ بِهِ مُصِيبَةُ الْمُسْلِمِينَ، فَكَانَتْ عَائِشَةُ، فِيمَا بَلَغَنِي، تَقُولُ: لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ارْتَدَّتْ الْعَرَبُ، وَاشْرَأَبَّتْ الْيَهُودِيَّةُ وَالنَّصْرَانِيَّةِ، وَنَجَمَ النِّفَاقُ، وَصَارَ الْمُسْلِمُونَ كَالْغَنَمِ الْمَطِيرَةُ فِي اللَّيْلَةِ الشَّاتِيَةِ، لِفَقْدِ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى جَمَعَهُمْ اللهُّ عَلَى أَبِي بَكْرٍ))...

يقول أنس رضي الله عنه: (لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شيء، فلمّا كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كلّ شيء، وما نفضنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

الأيدي حتى أنكرنا قلوبنا))...

أحداثٌ ثلاثة عظام تذكرنا بحبيبنا صلى الله عليه وسلم فنزداد له حبًّا وإليه شوقًا.

*مضَى السَّلف الصالح الذين هم بالكتاب عالِمون، وبالسنة مستمسكون على عدم إحداث شيء في هذا الشهر من الأعياد والمناسبات التي يجتمع الناس فيها لِذْكر سيرته صلى الله عليه وسلم، فلا أعياد ولا مناسبات ولا موالد ولا أفراح، بل هو كسائر الشهور، كما أنهم لم يُحدِثوا شيئًا لوفاته، فلا مآتم ولا أحزان ولا عويل لموته صلى الله عليه وسلم وانقطاع الوحي.

بل مضوْا -رحمهم الله- على عد هذا الشهر كغيره من الشهور، فلما ضعُفت العلوم في الناس، وانتشر فيهم الجهل، وخفي فيهم نور النبوة حدَث ما حدث في القرن الرابع من الهجرة؛ حيث أحدث العبيديون الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم، فشاعت هذه البدعة بعد أن زالت دولة العبيديين، شاعت في المسلمين إلى يومنا هذا، وفيه يحتفل كثير من المسلمين بمولد النبي صلى الله عليه وسلم وهم في هذا على درجات بين بدعة وبين شرك، فالذين يحدثون موسمًا يبتهجون فيه، ويوزعون فيه الحلوى، ويقيمون فيه الأطعمة؛ هؤلاء وقعوا في بدعة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين